الكشوف الجغرافية في المناطق القطبية الشمالية

بحلول القرن التاسع عشر، كان قد اكتشف معظم أرجاء الكرة الأرضية، إلا أن المناطق القطبية كانت لا تزال لغزًا قفرًا محيرًا!!

كان الانتقال عبر تلك المناطق أمرًا بالغ الصعوبة بسبب العديد من العقبات والمخاطر التي واجهت المستكشفين، وكان من أهمها: درجات الحرارة المتدنية، والتي قد تصل أحيانًا إلى نحو 60 درجة مئوية تحت الصفر، والجبال الجليدية الضخمة.. والعواصف الثلجية العاتية.. والضباب والصقيع الكثيف.. تلك العقبات التي حالت دون وصول العديد من المستكشفين إلى أهدافهم، مما اضطرهم إلى العودة من حيث أتوا!!

أما الذين تمكنوا من التغلب على تلك العقبات، فقد واصلوا السير نحو تلك المناطق بعد أن تعلموا كيف يتأقلمون مع هذه الظروف المناخية القاسية، بعد أن عايشوا سكانها من الإسكيمو، وأخذوا عنهم أسلوب حياتهم، وكيف يستخدمون الزحافات الجليدية التي تجرها الكلاب القطبية، وكيف يصطادون الحيوانات القطبية ليأكلوا لحومها ويستخدموا جلودها وفراءها في ملابسهم.

وكان البحث عن الممر الشمالي الغربي عبر قارة أمريكا الشمالية من أهم العوامل التي مهدت الطريق للمستكشفين الأوربيين والأمريكيين للقيام برحلاتهم ومغامراتهم نحو تلك الأصقاع النائية.. وكان من أهم هؤلاء المستكشفين:

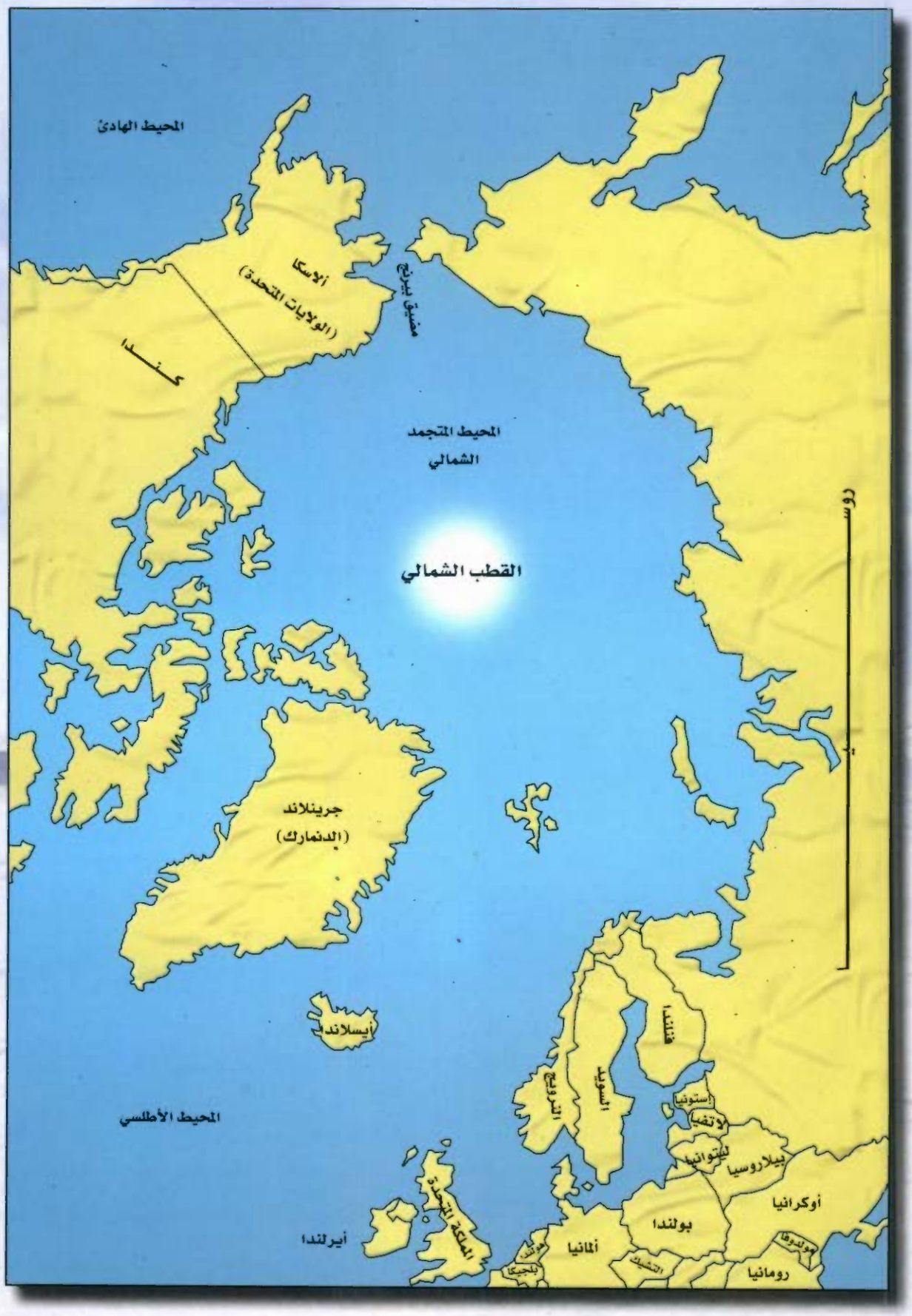

△ المناطق القطبية الشمالية

هنري هدسون (؟- 1611):

△ هنري هدسون

وهو ربان بحري إنجليزي، سافر إلى أقصى شمالي كندا بحثًا عن طريق بحري شمالي إلى آسيا، وزار العديد من المناطق الشمالية، وسمي نهر هدسون، وخليج هدسون، ومضيق هدسون باسمه.. ثار عليه البحارة، فوضعوه في قارب وقذفوا به في عرض البحر، وفقد أثره!!

ويليام بافن (؟- 1622):

وهو ملاح ومستكشف إنجليزي، جاء أول ذكر له في المراجع العلمية عام 1612 عندما كان في رحلة استكشافية إلى الممر الشمالي الغربي بقيادة الكابتن جيمس هول، الذي قُتل على الساحل الغربي لجزيرة جرينلاند على يد السكان الأصليين.

في عام 1615 التحق (بافن) ببعثة الكابتن (روبرت بيلوت) المكلفة باستكشاف الممر الشمالي الغربي، ثم التحق بعد ذلك (1617-1619) بخدمة شركة الهند الشرقية، ورحل إلى سوارت في الهند البريطانية، مات في 23 يناير 1622 على إثر إصابة لحقته إثر هجوم للإنجليز على مضيق هرمز على الخليج العربي.

فيتوس بيرنج (1680-1741):

وهو ملاح دنماركي، أثبتت رحلاته أن المياه تفصل بين قارتي آسيا وأمريكا (مضيق بيرنج)، عمل في البحرية الروسية، وقام برحلتين إلى شمال شرقي سيبيريا، كانت الرحلة الأولى فيما بين عامي 1727، 1729، وأثبت خلالها وجود فاصل مائي بين آسيا وأمريكا.. وشاهد في رحلته الثانية بركان (سانت إلياس) في ألاسكا، وفي طريق عودته، أجبره الضباب الكثيف على اللجوء إلى جزيرة بيرنج، حيث مات هناك بسبب مرض الأسقربوط.

▲ ويليام بافن

جون فرانكلين (1786-1847):

ويُعد من رواد الاكتشافات الإنجليزية في المنطقة القطبية الشمالية.. التحق، وهو في الخامسة عشرة من عمره، برحلة ماثيو فلينرز حول أستراليا عام 1803، وفيما بين عامي 1825 - 1826 قام بأول رحلة استكشافية في المناطق الشمالية، حيث اكتشف مصدر نهر كوبرماين شمال كندا.

في عام 1845 قاد فرانكلين أهم بعثة استكشافية نحو المنطقة الشمالية في ذاك الوقت، واكتشف الممر الشمالي الغربي، إلا أنه فُقد ورجاله خلال تلك البعثة، ولما لم يعُد، قامت زوجته (الليدي فرانكلين) بتجهيز خمس رحلات استكشافية للبحث عن زوجها، وكان نتيجة ذلك أن عبرت مجموعة بقيادة (السير روبرت ماكلور) الممر الشمالي الغربي، وتم العثور على آثار فرانكلين ورفاقه.

السير ويليام باري 1790-1855:

وهو ضابط بالبحرية البريطانية، قاد عدة بعثات استكشافية للمنطقة القطبية الشمالية بحثًا عن الممر الشمالي الغربي فيما بين عامي 1819، 1824.. اكتشف باري جزيرة ملفيل Melville Island (أقصى شمالي كندا).. واصل باري تقدمه نحو الشمال، إلى أن أصبح على بعد 800 كيلومتر من القطب الشمالي، وهو أقصى مكان هناك وصله مستكشف حتى ذلك الوقت.

أما أشهر من اخترق المنطقة القطبية الشمالية، وحاول الوصول إلى القطب الشمالي، فهو النرويجي د. فريدتيوف نانسن، والأمريكي روبرت بيري..

رحلة د. فريدتيوف نانسن (1861-1939):

فريدتيوف نانسن Fridjtof Nansen، مستكشف قطبي نرويجي شهير، كان من أتباع النزعة الإنسانية، ورجل دولة، وعالمًا بدراسة الحيوانات البحرية، ومن رواد علم البحار.

في عام 1882 التحق (نانسن) بالعمل على سفينة الصيد فايكنج، بالقرب من جزيرة جرينلاند، وهناك رأى المساحات الشاسعة المغطاة بالجليد، فبدأ يفكر في مغامرة جريئة عبر المنطقة القطبية الشمالية.. فنزل بالجزيرة، وقضى بها فترة طويلة، تعرف خلالها على حياة الإسكيمو وعاداتهم، وكيف يواجهون الظروف المناخية القاسية في هذه المنطقة القطبية.

يقول نانسن:

كان الاعتقاد السائد أن الجليد الذي يغطي المناطق القطبية يتحرك من الشمال في اتجاه الجنوب، مما يمنع سير السفن نحو الشمال، وإذا سار الناس عليه بالمزالق بقوا في مكانهم، أو رجعوا إلى الوراء. أما أنا فقد انتهيتُ إلى أمر لم ينتبه إليه غيري، وهو أن بعض الأشياء مما كان في السفينة (جنت) التي غرقت في الشمال الشرقي من جزر سيبريا وُجدت على الشاطئ الجنوبي الغربي من جزيرة جرينلاند، فقلت في نفسي: إن هذه الأشياء لم تبلغ شاطئ جرينلاند إلا لأنها جرت من نفسها على سطح الجليد، ومرّت بالمنطقة القطبية الشمالية في طريقها، وعليه، فإذا التصقت سفينة ببحر الجليد الذي يُغطي الجهات الشمالية الشرقية، وسلّمت نفسها له، فإنه يجري بها من نفسه كما جرى بتلك الأشياء من سيبريا إلى جرينلاند.. ثم يقول: وجاهرت برأيي هذا في الجمعية الجغرافية الملكية في كلمة ألقيتها هناك عام 1892 مؤكدًا كلامي بأمور ثلاثة:

- وجود قطع من الخشب على شاطئ جرينلاند قادمة من سيبريا.

- وجود بعض عصي الإسكيمو على شاطئ جرينلاند، وهي مما يلقيه الإسكيمو للصيد في ألاسكا.

- عظم جبال الجليد التي تجري عند شاطئ جرينلاند الشرقي، فإن جرمها يدل على أنها جرت مسافة طويلة في بحر مغطى بالجليد.

وتأكدت من هذه الأدلة أن هناك تيارًا يجري في المناطق القطبية من شمال سيبيريا ومضيق بيرنج إلى المحيط المتجمد الشمالي، مرورًا بأرض فرانز جوزيف.. ولذلك فمن شاء دخول تلك المناطق المجهولة، فعليه أن يسلم نفسه للجليد بالقرب من جزر سيبيريا، وسوف يجري به الجليد من تلقاء نفسه!!

وبعد أن أيقن نانسن من صدق استنتاجه، عمد إلى بناء سفينة متينة قادرة على تحمل ضغط الجليد، يقول نانسن: وبذلتُ جهدي، واهتديت إلى رجل نرويجي من صانعي السفن، فبنى سفنتي فرام Fram.

في 24 من يونيو 1893 كانت السفينة (فرام) على أهبة الاستعداد، وفي الحادي والعشرين من يوليو وصل نانسن بسفينته إلى ميناء فردو Verdo، في أقصى شمال النرويج، ومن هناك أبحر وبصحبته 13 بحارًا، 34 كلبًا من كلاب المزالق السيبيرية.

وصل نانسن إلى بحر كارا Kara Sea شمال سيبيريا، ونزل هناك في ميناء ديكسون، ووجد العديد من الجزر السيبيرية.

في السادس من سبتمبر وصل نانسن إلى رأس تشيلوسكن Chelyuskin في أقصى شمال شبه جزيرة تايمير Taymyr Peninsula أقصى شمال سيبريا، حيث واجه ثلوجًا بسمك نحو 10 أمتار، نجح نانسن في اجتياز تلك المنطقة، وظلت السفينة عامًا كاملًا تنجرف في اتجاه الشمال، ثم انجرفت ببطء نحو الغرب، عندئذ قرر نانسن التقدم نحو القطب الشمالي بصحبة زميله (هجالمار جوهانسن)، ولم يكن قد سبقه أحد من قبل في الوصول إلى هناك.

بدأ نانسن وصاحبه رحلتهما نحو القطب الشمالي وبصحبتهما 28 كلبًا، وثلاثة زحافات، وقاربين كاياك (وهو قارب رفيع سطحه مغطى، يستخدم الجالس بداخله مجدافًا بسلاحين، وأول من استخدمه الإسكيمو، قرب القطب الشمالي، ويستخدم الآن في السباقات والتسلية)، كما اصطحبا خيمة، وبعض الملابس الثقيلة الخاصة بسكان المناطق القطبية، بالإضافة إلى المؤن.

في أبريل من عام 1895، كان نانسن وزميله على بُعد نحو 420 كيلومترًا من القطب الشمالي، ولم يكن أحد قد سبقهما إلى تلك المنطقة من العالم، وهناك قضيا نحو 4 أشهر في ظروف مناخية قاسية، ودرجة حرارة نحو 50 درجة مئوية تحت الصفر، وقد تعرضا لهجوم ثور الفظ الذي كاد يودي بحياتهما.

في رحلة العودة، قضى الرجلان الشتاء في منطقة فرانز جوزيف لاند Franz Josef Land، ثم واصلا سيرهما نحو الجنوب، حيث التقيا ببعثة بريطانية بقيادة (جاكسون-هادمورث).. وعاد نانسن وزميله مع تلك البعثة إلى النرويج على متن السفينة ويندوارد.

أما السفينة (فرام) فلم يمض سوى أسبوع على عودة نانسن وصاحبه إلى النرويج، حتى عادت هي الأخرى بمن فيها، طافية فوق الثلوج بعد ثلاث سنوات من بدء رحلتها!

وما تزال هذه السفينة تحتل موقعها خارج ميناء أوسلو، يقصدها الزوار والسياح.

وقد سجّل نانسن وصف رحلته هذه في كتاب نشره باسم (في أقصى الشمال)، ويعتبر نانسن أول من مهد الطريق للعمليات الاستكشافية الحديثة التي قصدت المناطق القطبية الشمالية.

بقى أن نعلم أنه فيما بين عامي 1906-1908 عمل نانسن وزيرًا مفوضًا للنرويج لدى المملكة المتحدة، وبعد عودته إلى بلاده عمل أستاذًا لعلوم الأحياء البحرية بجامعة كريستيانا، وقام بالعديد من الرحلات عبر المحيط فيما بين عامي 1910، 1924، ونشر العديد من الكتب.

وعقب الحرب العالمية الأولى، عمل نانسن مندوبًا للنرويج لدى عصبة الأمم، وساعد اللاجئين السوفيت في آسيا الصغرى، وأدار عملية إعادة الأسرى الألمان والسوفيت إلى أوطانهم، كما ابتكر وسيلة لتحديد هوية اللاجئين عُرفت باسم (جواز سفر نانسن).

وفي عام 1922 فاز نانسن بجائزة نوبل نظرًا لجهوده التي بذلها لمساعدة اللاجئين بعد الحرب العالمية الأولى.

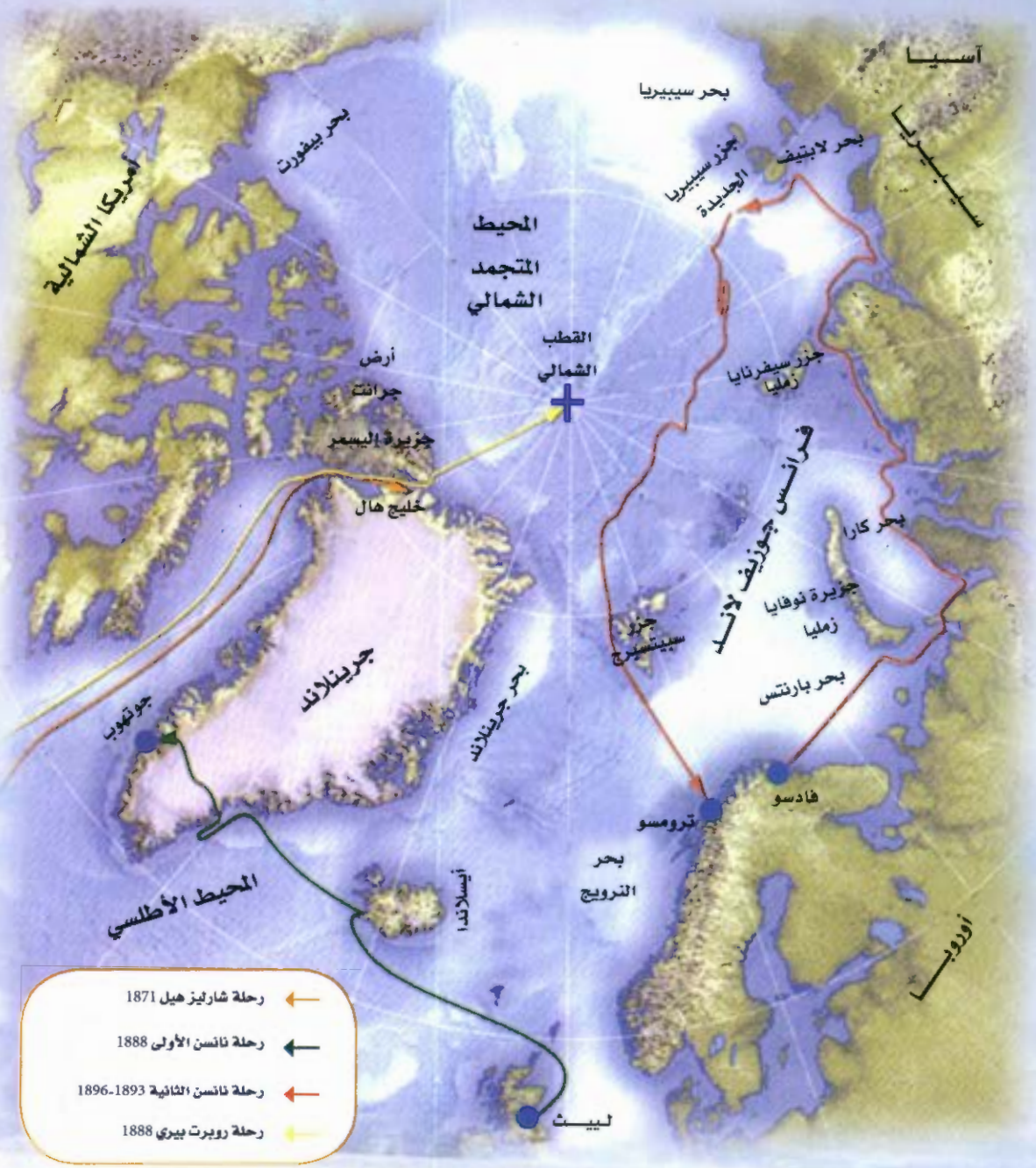

رحلات روبرت بيري Robert Peary (1856-1920):

في شهر سبتمبر من عام 1909 تلقى نادي بيري القطبي رسالة من كلمة واحدة وهي (الشمس)، وكانت هي كلمة السر المتفق عليها عند الوصول إلى القطب الشمالي.

إنها الرسالة التي بعث بها المستكشف الأمريكي روبرت بيري Robert Peary عندما وصل إلى القطب الشمالي، وكان أول من وطأت قدماه تلك المنطقة المعزولة من العالم!!

وُلد بيري في ولاية بنسلفانيا الأمريكية عام 1856، وعمل مهندسًا بحريًا بالجيش عام 1881، وفي عام 1886 قام بأول مهمة بحرية في جرينلاند، وأثبت أنها جزيرة.

في عام 1891 أعدت أكاديمية العلوم الطبيعية بفلادلفيا حملة إلى الأصقاع الشمالية، ووقع الاختيار على بيري ليكون على رأس تلك الحملة، ورافقته زوجته، فكانت أول امرأة تقصد تلك المناطق المعزولة من العالم.

قضت الحملة الشتاء في خليج (إنجلفيلد) في شمال غربي جرينلاند، وهناك جاب بيري تلك

المناطق من جميع جوانبها، وخرج بنتيجة مهمة، وهي أن جرينلاند جزيرة.. وفي عام 1898 نشر (بيري) كتابًا بعنوان (إلى الشمال على الجليد) سجل فيه كل ملاحظاته ومذكراته خلال تلك الرحلة.

عقب ذلك قام بيري برحلتين في تلك الأصقاع الجليدية وصل فيهما إلى أبعد ما وصل إليه المستكشفون شمالاً، ثم عاد إلى بلاده ليتم انتخابه رئيسًا للجمعية الجغرافية الأمريكية.. وفي عام 1903 قصد إنجلترا في بعثة بحرية، وهناك منحته الجمعية الجغرافية الأسكتلندية وسام لفنجستون الذهبي.

بعد العودة من إنجلترا، بدأ بيري الاستعداد لرحلة قطبية جديدة، فجهزت لهذا الغرض السفينة روزفلت، (وهو اسم الرئيس الأمريكي آنذاك)، وزُوِّدت بما يكفي سنتين من المؤن.

أبحر (بيري) بسفينته من نيويورك في يناير 1905، وقضى الشتاء على الشاطئ الشمالي من جزيرة إليسمير Ellesmere، إلى الغرب من جرينلاند.. وفي 21 فبراير بدأ بيري ومعه مجموعة من رجاله الرحلة إلى القطب الشمالي، إلا أن عاصفة ثلجية عاتيه واجهتهم.. وكادت تقضي عليهم، مما اضطرهم إلى العودة إلى سفينتهم.. وهناك استراح بيري نحو أسبوع، ثم قصد الساحل الشمالي من جزيرة إليسمير حيث ما يُعرف بأرض جرانت، ثم عادت البعثة إلى أمريكا في 13 أكتوبر من عام 1906، بعد رحلة شاقة، وصفها بيري في كتابه (على مقربة من القطب).

في 1908، أبحر بيري على متن السفينة روزفلت في رحلة أخرى، تلك التي كللت بالنجاح، وكانت سبب شهرته، حيث قضى الشتاء في بلاد جرانت، وفي مارس من عام 1909 اتجه نحو الشمال ومعه ستة من رجاله، جعلهم فرقًا، تسير كل فرقة في أعقاب الأخرى، ولما أوشكت المؤن على النفاد أعاد بيري تجميع رجاله خوفًا على موتهم جوعًا.. وفي 6 أبريل 1909 بلغ بيري القطب الشمالي، وكان معه آنذاك خادمه الزنجي، وأربعة من رجال الإسكيمو، وقضوا هناك نحو ثلاثين ساعة، وسجل هناك مذكراته، وشعوره لحظة وصوله القطب، حيث يقول:

(أخيرًا، ها هو القطب.. إنه جائزة ثلاثة قرون، وهو حلمي وهدفي طوال عشرين سنة).. وهناك رفع (بيري) العلم الأمريكي.

عاد بيري ورجاله إلى أمريكا سالمين، إلا أحد رجال الإسكيمو الذي مات غرقًا، وهناك استقبل بحفاوة بالغة، ومنحته الدولة رتبة أدميرال.

وعلى الرغم من هذا النجاح الهائل الذي حققه بيري فإن هناك من الخبراء من يشكك في أن بيري قد وصل بالفعل إلى القطب الشمالي!

روبرت بيري ◀